

## أشباه البشر

قصة  
نديدجا  
طيفي (1)

لترجمة  
نوفل  
نيوف

هكذا كانت البداية.  
ثمّ قال الله: «لِنَصْنَعِ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا، كَمَا لَنَا»  
(سفر التكوين 1، 26).

وهكذا كان. إذ راح الإنسان يعيش ويتكاثر، ينقل الأثر لابنه، والأسلاف لأحفادهم تلك الروح الملتهبة، ذلك النفس الإلهي.  
وظل البحث عن الله موجوداً فيه إلى الأبد، في الإقرار وفي الإنكار، ولم يخبّ فيه روح الله إلى أبد الأبد.  
كان طريق الإنسان طريق الإبداع. لقد وُلِد لأجله، وكانت غاية حياته فيه، ونيابة عن روح الله استمرّ يبدع العالم.  
«ثمّ أمرّ الله: لِنَخْرِجِ الْإِنْسَانَ مِنْ بَدَنِ حَيَّةٍ، كَمَا خَسِبَ جَنَسِهَا، مِنْ بَهَائِمِ زَوْاحِفٍ وَوُحُوشٍ وَفَقَّاً لِأَنْوَاعِهَا»  
(سفر التكوين 1، 24).

وهكذا كان.  
واختلج جسّد الأرض الرطب الذي لم يكن قد تجمّد بعد، وتململت فيه رغبة الحياة على شكل دوّارات (2) هي نقاط متحركة، وامضة.  
وملأت الدوّارات البحار والأنهار وكلّ مياه الأرض، وراحت تبحث عن طريقة لاكتساب الحياة وتثبيت القدم فيها.

وتحولت إلى حلقيات، وإلى علقيات، إلى تساعيات الأعين لها شوارب راعشة مرهفة تشعر بأصغر نفس من أنفاس الموت.

ثم انقلبت إلى حشرات، وبرمائيات، وراحت تزحف نحو الشاطئ، وبنيهم تتلمّس الأرض بارجلها الغشائية، وتلصق بها صدرها المحرشف. ثم عادت من جديد تبحث عن الحياة وتتمكّنها.

بعضها أطلق أجنحته وطار في الهواء، وبعض منها مضى زاحفاً على الأرض، فيما تصلّب العمود الفقري عند بعضها الآخر واستقرّ على أرجله.

وشرع الجميع يتأقلم، ويصارع، ويعيش.

وبعد عصور طويلة من العمل، كانت أوّل حشرة طوّرت نفسها قد اتّخذت شكل كائن شبيه بشري. فذهب هذا الكائن إلى الناس وعاش معهم. لقد أضحى أنه لن يستطيع الحياة بعد من غير الإنسان، وأن الإنسان سيقوده خلفه إلى مملكة الروح التي لم يكن لشبيه البشر من سبيل إلى بلوغها. كان ذلك يرضيه ويمنحه الحياة. ولم يحتفظ أشباه البشر بتلك الشوارب المرهفة السابقة، غير أنهم احتفظوا بالرفافة.



■ ■ ■ ■  
اشتعلت الناس بأشباه البشر. وتزاوج الطرفان فيما بينهما وأنجبا أطفالاً. فكثيراً ما تُصارف بين أفراد أسرة واحدة من هم بشراً صغاراً، ومن هم أشباه بشر صغاراً أيضاً. ويُعدّ هؤلاء وأولئك إخوة.

غير أن هناك عائلات من البشر الأقحاح، وأخرى من أشباه البشر الأقحاح.

وهؤلاء الأخيرون هم الأكثر عدداً، لأن أشباه البشر حافظوا على سرعة التكاثر منذ أيام حقبة العلقيات التساعية الأعين. وما زالوا حتّى اليوم يتحكّمون بالحياة عن طريق عددهم وشدة رغبتهم بالحياة.

■ ■ ■ ■  
ينقسم أشباه البشر إلى نوعين: أشباه البشر من الدرجة العليا، وأشباه البشر من الدرجة الدنيا. وقد حقق النوع الأوّل قدراً كبيراً من النجاح بالتآلف مع الحياة الروحية ومحاكاة مختلف تجليات العقل البشري، ما جعلهم يبدون في نظر كثيرين من المراقبين السطحيين أناساً أذكى وعبارة.

إلا أن الإبداع متعذر على أشباه البشر لأنهم يفتقرون إلى المبدأ العظيم. هنا يكمن عذابهم الأكبر. إنهم يطوّقون الحياة بأرجلهم وأجنحتهم، وأيديهم، وبنيهم يتلمّسونها ويمتصّونها، ولكنهم لا يستطيعون الإبداع.

■ ■ ■ ■  
إنهم يحبّون كلّ ما هو إبداعي، ويحيط باسم كل نابغة إكليل من أسماء أشباه البشر.

يخرج من بينهم ببلوغرافيون مدهشون، ونقاد مخلصون، ومحاسبون متفانون وكتّاب سيرة، ونظامون (3) بارعون.  
إنهم يحبّون إبداع الآخرين، وبشوق يتمسّحون بهذا الإبداع.  
يحبّون نسخ قصائد شاعر، كتابة نعي فيلسوف يعرفونه، أو ما هو أكثر إبهاجاً بعد، كتابة مذكراتهم الشخصية عن إنسان موهوب يقرنوا اسمهم باسم ذلك العبقري.  
إنها لذة فرحة خنفساء تفكّر بملاك: «إننا نظير».

في المدة الأخيرة، شرعت تظهر كتب غريبة، ومرعبة.  
يقرونها، ويثنون عليها، ولكنهم يتعجّبون. إن فيها كلّ شيء. أصالة الفكر الخارجية، وشكل الديباجة الباهر. وتظهر في القصائد جميع ملامح الانتماء إلى المدرسة الراجحة. غير أن شيئاً ما ينقص هذه القصائد.

أين هي المشكلة؟ أولئك هم أشباه البشر الذين ركبوا موجة الحركة الجديدة يتدربون.

■ ■ ■ ■  
أشباه البشر من الدرجة الدنيا أقلّ حساسية.  
إنهم ما زالوا يتلمّسون التراب ويتكاثرون، وبعدهم يسيطرون على الحياة.

هم يحبّون كسب الأشياء، وشئى القطع المحسوسة القاسية والنقود. هم لا يخزنون الأموال عن وعي، مثل إنسان راغب بالسلطة، وإنما يُعناد وبلادة، وفقاً لغريزة امتلاك الأشياء. وهم يأكلون كثيراً، ويتعاملون بجديّة كبيرة مع مختلف مسارات الحياة. وإذا ما قلت ذات مساء في مكان ما بين الناس: «إنني اليوم لم أتناول غدائي بعد»، رأيت كيف يستدير جميع أشباه البشر برؤوسهم نحوك.

صفحات الإبداع من تنسيق:  
احلام الطاهر

أو الفأزس - تسمع الضحك بعد كلّ نكتة ينفجر مرتين. في البداية يضحك البشر، وبعدهم يضحك أشباه البشر.

■ ■ ■ ■  
شبيه البشر لا يعرف الحب. لا يعرف إلا شعوراً جنسياً بسيطاً ليس له صفة فردية. هذا الشعور، القفّ والحادّ، يكون في العادة عند أشباه البشر مثل غريزة امتلاك الأرض والحياة. وفي سبيله يضخّي شبيهه البشر بالكثير، يتعذّب ويسمّي ذلك حبه. وهذا الحب يزول ما إن يبلغ غايته، أي عندما يحقق له فرصة التكاثر. فشبيه البشر يحب إقامة علاقة زوجية والالتزام بقوانين الأسرة.

أشباه البشر قليلاً ما يدلّلون الأطفال. وكثيراً ما «يربّونهم». يقولون إن الزوجة: «يجب أن تحبّ زوجها». وهم أشدّ من البشر قسوة في إدانة انتهاك الوفاء الزوجي، كما في إدانة انتهاك أيّ قانون عموماً. يخافون من أنهم إذا ما أفسدوا القديم سيكون عليهم أن يتكيّفوا من جديد.

إن أشباه البشر شديدو الولع بتعليم الآخرين. وكثيرون منهم يصبحون معلمين وبروفسورات. وعندما يعلمون يشعرون بنشوة النصر. وحين يلقنون تلامذتهم كلام الآخرين، يخيل إليهم أنه كلام هم من أبدووه.

■ ■ ■ ■  
لقد تكاثرت أعدادهم في المدة الأخيرة. وثمة مؤشرات لا تقبل الجدل. إذ ظهرت كتبهم بكميات كبيرة. وتشكلت حلقات. فسرعان ما تتشكل في الحال تقريباً حلقة، أو مدرسة حول كلّ إنسان يتمتّع بأقل قدر من التميّز. تلك هي مساعي أشباه البشر.

إنهم الآن يتصنّعون على نحو بديع، فقد أتقنوا جميع عادات الإنسان الحقيقي. إنهم يتسلّلون إلى السياسة، ويحاولون أن يعانوا من أجل فكرة، ويختلفون كلمات جديدة أو يؤلّفون بقبح بين كلمات قديمة، يكون أمام لوحة «عذراء كنيسة سيستين» (4)، ويتظاهرون بأنهم فاجرون.  
صاروا يبتعدون طرافات مميزة. إنهم يزادون قوة بأطراد، وقريباً سوف يسحقون البشر، ويستولون على الأرض. وقد سبق أن اضطّر الإنسان مرّات كثيرة للخضوع لإرادتهم، وبات في مقدورنا الظنّ الآن أنهم وخذوا كلمتهم ولن يعودوا بعد إلى السير وراء الإنسان، بل هم سيرواحون في المكان ويوقفون حركته. ولعلّهم يُجهزون عليه ثم يستديرون عائدين كي يستريحوا. لقد بات كثيرون منهم يحلمون اليوم بالانذبال والأرجل ويتحدّثون عنها...

1 نديدجا طيفي (1872-1952) كاتبة روسية من أمّ فرنسية. بعد الثورة الشيوعية، هاجرت إلى فرنسا عام 1920 وماتت هناك. لها ثلاثة وثلاثون كتاباً منشوراً.  
2 Rotatoria = Rotifera (لاتينية) الدوّارات أو الدوّاليّيات، وهي حيوانات مجهرية مائيّة.  
3: من يحسن تدبيح القوافي، وليس بشاعر  
4: من أشهر لوحات عصر النهضة في إيطاليا، رسمها عامي (1512 . 1513) الفنّان الإيطالي رافائيل سانتي (1483 . 1520).